الطلبة المتفوقون والكفايات التعليمية اللازمة لمعلميهم

أ . مشطر حسين*

مقدمة :

إن رعاية المتفوقين ليست ترفا فكريا وممارسة تربوية زائدة عن الحاجة ، بل هي عملية جوهرية في أي نظام تربوي إذا أراد هذا النظام أن يشكل أوجه للرعاية المتكاملة لكل الفئات التعليمية ، وللمتفوقين خاصة أهمية كبيرة ، فهم يقدمون كل جديد إلى المعرفة الإنسانية ويدفعون عملية التطوير إلى الأمام ، ومن أجل توفير رعاية مناسبة للمتفوقين يجب التعرف إلى خصائصهم وحاجاتهم النفسية والانفعالية ، كما يجب أن نحدد كذلك وبصيغة الأفضلية الكفايات التعليمية اللازمة للمعلمين الذين يؤطرون ويكونون هذه الفئة الخاصة من التلاميذ .

أولا ـ الكفايات كمدخل :

التأسيس لفكرة حيازة المتفوقين ـ باعتبارهم من ذوي الاحتياجات الخاصة ـ على تعليم نوعي يختلف عن تعليم العاديين أو المتوسطين ، يتجاوز من الناحية النظرية الرأي السائد بأن الاهتمام بهذه الفئة هو نوع من النخبوية الفئوية élitisme أو نوع من الانحياز غير العادل ، الذي يتنافى مع ما يجب أن نتعامل به مع جميع الطلبة ، وهو ميزان المساواة اتساقا مع التوجه الديمقراطي المكفول في العملية التعليمية التعلمية ، وفي ظل هذا الوضع يصبح من البديهي ألا نطالب الطلبة المتفوقين بالتفوق والنجاح والامتياز في ظل نظام تربوي ، يغيب فيه التنسيق في المناهج التعليمية غير المواءمة لقدرات المتفوقين ، مما يجعل المنهاج عبئا مفروضا عليهم ، ويؤدي هذا إلى التبديد والهدر التربوي في المدارس ، أو ما أصطلح عليه joseph Roznelli بـ **الأزمة الصامتة silence crises**[1] .

إن هذا الإحباط الذي يؤدي إلى تثبيط العلاقات تماشيا مع المعيار العام لجماعة القسم هو مجرد إرضاء لمبدأ واه ، لا يحترم قدرات الآخرين ، لأن المتفوقين اليوم هم القادة في المستقبل القريب ، كما يعتبر المتفوقون دراسيا

* كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قالمة .

(1) silence crises : مصطلح وضعه « روزنيلي » ويعني به تهرب المتفوقين من المدرسة لمجرد وصولهم السن القانوني لعدم موائمة البرامج التعليمية لقدراتهم .

شريحة ذات أهمية بالغة في الوسط التعليمي ، ذلك لكفاءاتهم الأكاديمية وتحصيلهم العلمي العالي ، مما يجعلهم يتميزون عن باقي أقرانهم في المستوى التحصيلي ، وهذا ما يخلق فروقاً جوهرية داخل الصف الواحد .

لذلك اهتم التربويين بفئة المتفوقين دراسيا ، بغية فهمهم ومعرفة ما يميزهم ، وبالتالي يصبح من المنطقي ألا نتركهم لأنفسهم لتنمية مواهبهم ، لأن كل موهبة تحتاج إلى مناخ وبيئة ومكان لائق بها ، يرعى طاقاتها ويفجر مكامنها ورصيدها ، ولن يتأتى هذا إلا بصياغة برامج لصالح المتفوقين وحدهم ، والتي تتعدى فوائدها كذلك إلى الأساتذة الذين يتعلمون منها كيفية تحريض التفكير العلمي والفني والإبداعي عند الطلبة ، فمن خلال استثارة الطلبة يتعلم الأساتذة كيف يساعدون هؤلاء المتفوقين على فهم أنفسهم بشكل أكثر عمقا ودقة ، ثم يطورون ذلك الفهم الذي يتحول إلى إبداع وتقدير للإنجازات المهنية والتربوية ، وذلك بإعطائها ما هو جدير بها من مجهود ومشاركة ، وهكذا يصبح أساتذة المتفوقين **أساتذة أفاضل** في آرائهم ومهاراتهم من خلال عملهم مع هذه الفئة .

ولكن السؤال الذي يطرح هو : إذا كان أساتذة المتفوقين أساتذة أفاضل ، فكيف يظهر دورهم في ظل المقاربة بالكفايات؟

المقاربة بالكفاية تسعى إلى الإجابة عن جدوى عقلنه التعليم ومدى ناجعة المدرسة في الموائمة بين المدخلات input (التلاميذ واختلاف قدراتهم) والسياقprocessus وهو المحتوى (محتوى التعليم حسب قدرة كل تلميذ) والمخرجات output التي تمثل الجانب العملي (المهارات المكتسبة نتيجة التعليم).

ومن الناحية المنهجية يجب أن نشير إلى الاختلاف الملحوظ في ترجمة الكلمة الفرنسية compétence من حقل معرفي إلى آخر ، ومن مؤلف إلى آخر ، فالبعض يستخدم مصطلح « الكفاءة » في حين يؤثر البعض الآخر مصطلح « الكفاية »[1] .

(الكفاءة) و(الكفاية) في العربية:

فإذا عدنا إلى المعاجم العربية نجدها تذكر المعاني اللغوية وجذورها :

ـ ففي « لسان العرب » لابن منظور جذران : « كفى » ومنها : كفى ، يكفي ، كفاية : إذا قام بالأمر وكفاه مؤنته ، ولذا كان الكُفاءُ اسم للخدم ، الذين يريحون السادة بقيامهم بالخدمة . وأنشد لابن بري :

سلي عني بني ليث بن بكر كفى قومي بصاحبهم خبيرا

(1) لحسن بوتكلات ، 2003 ، ص72 .

وكفاه الأمر: إذا قام فيه مقامه ، والكفية هي القوت .

أما الاشتقاق الثاني فمن الجذر « كفأ » ، ومنه الكفء : النظير ، و منه: كافيك من رجل ، وناهيك من رجل ، أي حسبك[1].

ـ ويزيد عبد الكريم غريب معنى جديرا باقتباسه فـ « الكفاية » هي استعداد لقوة القيام ببعض الأفعال actes ، مثل : كفاية إدارة ما ، والتي تمارس في حدود القانون[2] .

ـ ولدى تحقيق إبراهيم السامرائي في لفظ الكفء توصل إلى أن المعنى الذي تنصرف إليه هذه المادة وهو المساواة الحاصلة في كثير من المشتقات ، غير أن عربيتنا الحاضرة قد عدلت هذا المعنى وصار الكفء فيها هو « الكافي » : القدير[3].

فيقولون : هو كفء في عمله ، أي : قادر ذو كفاية ، والصحيح أن يقال : كاف في عمله ، وفلان ذو كفاءة يراد بها ذو كفاية ، وعلى هذا فإن لفظة الكفاءة قد أخذت هذا المعنى المولّد الجديد وهو القدرة على الشيء[4].

وهكذا يتبين أن الكفاءة تعني المساواة ، والكفء هو النظير ، بينما تعني الكفاية : القدرة ، فيكون الكافي هو القادر .

الدلالة الاصطلاحية الحديثة للكلمة :

وإذا تجاوزنا المعاجم والآراء إلى الدلالة الاصطلاحية الحديثة لكلمة compétence فإننا نجدها تفرض استعمال « كفاية » من كفى يكفي ، وليس من كفأ يكافئ .

وفي المعاجم الفرنسية نجد قاموس le Petit Rebert يذكر أربع دلالات محورية لكلمة compétence حسب مجالات استعمالها وهي :

في القانون : تعني : الجدارة والأهلية والاختصاص .

في اللغة المتداولة : تدل على الدراية ، والمعرفة العميقة وسعة الاطلاع .

ولدى البيولوجي : الكفاية هي صفة النسيج أو الخلية القادرين على الاستجابة لمثير ، وعلى التشكل واتخاذ صفات مغايرة .

وفي اللسانيات : الكفاءة معنى تحدد في لسانيات « تشو مسكي » ، الذي ينظر إلى الكفاية باعتبارها متكونا من قواعد النحو والعناصر التي تطبق عليها هذه

(1) ابن منظور ، دون سنة نشر ، ص225ـ226 .
(2) عبد الكريم غريب ، بيداغوجيا الكفايات ، 2004 ، ص79 .
(3) ابراهيم السامرائي ، التطور اللغوي والتاريخي ، 1981 ، ص134 .
(4) م ، ن .

القواعد . . . ، هذه الكفاية يجسدها الإنجاز ـ الأداء ـ اللغوي .

ولهذا التنوع في اصطلاح كلمة compétence أثره لدى ترجمته ، فغالبا ما يستعمل المفهومان « الكفاءة / الكفاية » دون مراعاة للاختلاف الدلالي بينهما .

ــ فمثلا نجد « محمد التونجي و راجي الأسمر » يستخدمان الكلمتين ، ويعتبرانهما متعاوضتين بالكفاية / الكفاءة اللغوية ، وهي عندهما : « المعرفة الضمنية لمتكلم اللغة المثالي لقواعد لغته بحيث يستطيع أن يتكلم بلغته دون أخطاء »[1] .

ـ أما في مجال التربية والتعليم ، فيذهب « محمد الدريج » إلى أن الكفاية هي : « قدرات مكتسبة تسمح بالسلوك والعمل في سياق معين ، يتكون محتواها من معارف ومهارات وقدرات واتجاهات مندمجة بشكل مركب ، كما يقوم الفرد الذي اكتسبها بتوظيفها قصد مواجهة مشكلة ما وحلها في وضعية محددة » .

مصطلحات متقاربة :

ولكن الحسم اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الكفاية غير كاف إذا لم نتطرق إلى مجموعة من المفاهيم المتجاورة والمتداخلة إلى حد كبير ، وهذا من باب تسطير حدود تقريبية لمفهوم الكفاية ، تلك المفاهيم هي :

ـ **المهارة Habileté**[2] : مجموعة محصورة ضمن كفايات معينة تعين من خلال سلوكيات ناجحة ، وتنتج عموما عن حالة تعلم .

وتكون المهارة هدف من أهداف التعلم ، يشمل كفاءات وقدرات المتعلمين على أداء مهام معينة بشكل دقيق .

ـ **القدرةCapacité** : إمكانية النجاح ، وتدل القدرة على إمكانية أداء نشاط معين ، كما تشير إلى القوة على أداء فعل ما ، وحسب « جانيهGagné » القدرة تتمثل في بعض الانجازات والتي ترتبط مع بعضها في خاصية معينة .

ـ **الاستعداد Aptitude** : وهو قدرة ممكنة أو أداء متوقع سيتمكن الفرد من إنجازه فيما بعد ، عندما يسمح بذلك عامل النمو والنضج أو عامل التعلم .

ـ **الإنجازperformances** : ما يتمكن الفرد من تحقيقه آنيا من سلوك محدد .

ثانيا ـ الاتجاهات السائدة في العناية بالكفايات التعليمية عند المتفوقين :

استندت كثير من الإصلاحات التربوية في معظم الدول المتقدمة (فرنسا ، بلجيكا ، كندا) إلى الكفايات كمدخل لتغيير الممارسات البيداغوجية ، ولربط

(1) محمد التونجي وراجي الاسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ـ الألسنيات ـ ، 1993 ، ص 483 .
(2) عبد الكريم غريب ، 2003 ، ص53 .

المدرسة بالتحولات العميقة التي يعرفها عالم الشغل والسوق والاتصال وطرق اكتساب المعرفة ، حيث يصبح التعليم كائنا عالميا مطالبا بالاستجابة لمتطلبات سوق الشغل وتصبح المؤسسة التعليمية ، أشبه ما يكون بالمقاولة .

ومن هنا يبدو أن التعليم أصبح سوقا للتنافس في المناهج التدريسية المعتمدة على الكفايات ، فاتساع وتزايد عدد المهن التي ظهرت خلال السنوات العشرة الأخيرة ، وعدد المهن المجهولة التي ستظهر خلال السنوات القادمة ، أدى حتما إلى فك الارتباط بين مفهوم الإنتاجية ومقياس إتقان المهنة ، كما أدى إلى ربط مفهوم المردودية بمقياس القابلية للتكيف السريع مع المهام الطارئة والمتجددة .

ولقد حدث شرخ بين المدرسة التي تقدم معارف مجزأة ـ بل وأكثرها نظرية ـ وبين الوضعيات المهنية التي يجد فيها المتخرجون أنفسهم أمام واقع لايطابق بالضرورة الوضعيات التعليمية ، وهذا كان سببا مؤثرا استعملته المؤسسات الإنتاجية في لعب دور كبير من خلال الضغط على المدرسة لتوجيه برامجها نحو تنمية الكفايات .

وهذا يدل على أن الحقل الذي يغذي مفهوم « الكفاية » كمفهوم مؤسس للمقاربة البيداغوجية الجديدة ، هو حقل العلاقة بين مكتسبات التكوين والوضعيات المهنية .

بمعنى آخر : السؤال حول العلاقة بين المكتسبات المعرفية والأنشطة السوسيو مهنية ، أو كيفية التحكم في السبل التي بمقدورها تحقيق جودة التعليم والرفع من مردوديته وفائدته الاجتماعية والتنموية ومساهمته في الازدهار الاقتصادي والرخاء البشري ، وكل ذلك في إطار مشروع تربوي وتنموي محدد وواضح من حيث معالم إخضاع التربية والتعليم إلى اقتصاد العولمة وقيم الفعالية والمردودية .

إن هذا التنامي المتزايد في الاهتمام بالكفاية واجتياحه مجالات التربية والتكوين ، حدا بالباحثين إلى التساؤل عن أسبابه ، وعن الآفاق التي تفتحها المقاربة بالكفايات عندما تولي أهمية قصوى للتعلم بدل التعليم ، شأنها في ذلك شأن التيارات التربوية الحديثة ، أين يتم الانتقال من منطق التلقين إلى منطق التدريب ، والذي يلتزم بموجبه المدرس بعدم التدخل ، وألا يحل محل المتعلم ، مثل المدرب الذي يظل دائما على الخط ، لأن التلميذ لا يمكن أن يتعلم إلا إذا واجه بنفسه وضعيات ـ مشكلات ـ تسهم في بناء كفايات عالية المستوى ، فيصبح النجاح في المدرسة ليس هدفا في حد ذاته ، ولكن ينبغي أن يكون التلميذ في نهاية المطاف قادرا على تحريك مكتسباته خارج المدرسة في وضعيات معقدة

وغير منتظرة ، هذه المكتسبات تمثل الجودة والامتياز qualité et excellence ، فهي كفايات قصوى compétences maximales لأنها تمثل حالة من الإتمام Accomplissement تقترب من المنطق ومن مستوى إنجاز من درجة عالية[1] .

ومادامت المدارس تهتم بالمتوسطين والعاديين من التلاميذ ، وتهمش المتفوقين والموهوبين وذلك بوضعهم جنبا إلى جنب داخل الفصول الدراسية مع غيرهم من التلاميذ العاديين ، رغم أن نسبتهم تصل إلى حوالي 2٪ وهذا لا يشكل في واقع الأمر عبئا ثقيلا على كاهل النظام التعليمي ، وبالتالي متطلبات رعايتهم تكون بسيطة نظرا إلى مردود يتهم ونفعهم الكبير للمجتمع .

ويبين « خليل معوض » أن مسؤولية التعرف على المتفوقين واكتشافهم تقع على عاتق المدرسة ، كما يدعو إلى إعداد مناهج متطورة خاصة بهم خالية من المعلومات الجامدة[2] .

الاتجاهات السائدة بالعناية بهذه الفئة :

وفي سبيل الرفع من مستوى كفايات هذه الفئة من المتعلمين حتى يتمكنوا من تحقيق أعلى درجة من الكفايات القصوى نشير فيما يلي إلى بعض الاتجاهات السائدة بالعناية بهذه الفئة :

1 ـ تخطي القسمAccélération : ويهدف هذا الاتجاه إلى اختصار سنوات الدراسة حيث يعتبر هذا المؤشر مشوقا ومحفزا إلى مضاعفة الجهود وإثارة الاهتمام وإشباع الميول ، ذلك لأن أغلب الموهوبين يضيقون بالعمل الدراسي الذي يناسب الذين هم في سنهم ، ويعتقد أنصار هذا الأسلوب بأنه طريقة مناسبة لتزويد الموهوبين بخبرات تربوية تتعدى قدراتهم العقلية وتوفر لهم الفرصة لبلورة هذه القدرات وتجنبهم الملل و السأم ، ومادام الطفل المتفوق يفوق بكثير عمره العقلي عمر الأطفال العاديين ، فهو يكون مهيئا لاستيعاب الدروس أكثر من غيره من العاديين .

2 ـ الفصول الخاصةles classes spéciales : يقوم منهاج الدراسة في الفصول الخاصة بالموهوبين على عزلهم في أوقات الدراسة والمراجعة والاستذكار ، لأن دراستهم تتسم بالتعمق والتفصيل مع القيام بمشروعات من مستوى عال ، هذا وتعقد مجموعات الفصل اجتماعات للمناقشة تتم تحت قيادة التلاميذ أنفسهم من أجل تبادل الرأي ومناقشة البحوث .

أما في فترات النشاط الترفيهي فيختلط الموهوبون بالعاديين ويمارسون

(1) عبد الكريم غريب ، 2000 ، ص52 .
(2) خليل مخائيل معوض ، 1979 ، ص248 .

معهم نشاطاتهم .

ولهذا الأسلوب فائدتين ، فهو من ناحية يتيح للمتفوقين السير في دراستهم وفق إيقاعهم الخاص والذي يتوافق مع قدراتهم الذهنية من ناحية ومن ناحية أخرى يتيح لهم فرصة الاختلاط بزملائهم العاديين الذين هم في سنهم ، الأمر الذي قد يجنب تفادي الكثير من المشكلات الانفعالية التي سوف تنجم عن عدم التكيف مع من هم أكبر منهم سنا في حالة تخطي المستوى الدراسي .

ويمكن حصر أهمية الفصول الخاصة فيما يلي :

ـ تفادي ضياع الوقت الممكن حصوله عندما يكونون داخل فصل عادي .

ـ توفير فرص التفاعل والتواصل بين أفراد ـ تلاميذ ـ يمتلكون نفس المؤهلات الذهنية .

ـ رفع إيقاع التعليم ووتيرته وزيادة درجة مردود يته .

ـ إعداد مناهج تعليمية خاصة يؤخذ فيها بعين الاعتبار استعدادات وميولات هذا الصنف من المتعلمين .

3 ـ الإثراء Enrichement : وهو يقوم على تزويد المتفوقين بخبرات متنوعة ومتعمقة في موضوعات تفوق ما يعطى في المناهج المدرسية العادية وتضمن تلك الخبرات أدوات ومشاريع خاصة ومناهج إضافية تثري حصيلة المتفوقين بطريقة منظمة وهادئة ومخطط لها بتوجيه المعلم وإشرافه وليس بأسلوب عشوائي .

حيث أن الإثراء يقوم في الأساس على إغناء المناهج بنوع جديد من الخبرات التعليمية ، فإن هذه الخبرات يمكن أن تكون في مجال واحد من الموضوعات الدراسية ويطلق عليه بالإثراء العمودي ، أو يمكن أن تكون الخبرات في عدد من الموضوعات المدرسية وهو ما يطلق عليه الإثراء الأفقي .

غير أن ما يجب الإشارة إليه هو أن للإثراء قيمة اجتماعية لأنه يتيح للمجموعات غير المتجانسة والأفراد ذوي القدرات المتباينة العمل معا ، كما أن تواجد الموهوبين مع غيرهم من المتعلمين العاديين من الأمور التي تستثير فرصا للتفاعل أكثر فأكثر .

4 ـ فصول الامتياز أو الشرف les classes d excellences : هذا الأسلوب يتبع في بعض الثانويات في الدول المتقدمة وفق نظام يجمع فيه التلاميذ الممتازون في كل مادة دراسية على حدة إضافة إلى عملية تتبعهم للمنهاج الدراسي الأساسي ، فمثلا إذا تفوق تلميذ في الفيزياء يلحق بمجموعة الامتياز أو الشرف

في هذه المادة ، ويستمر في الوقت نفسه مع مجموعة التلاميذ العاديين في الرياضيات إذا لم يكن ممتازا فيها .

ويفيد هذا الأسلوب في :

ـ يسمح لكل تلميذ أن يتعلم وفق إمكاناته وقدراته حسب تفوقه في المادة .

ـ يوفر مناخا خال من الإحباط والملل .

ـ يمثل هذا الأسلوب نقطة التلاقي بين مختلف الأساليب السابقة الذكر ، فهو يجمع ويفرق بين التلاميذ وفق مبدأ القدرات الذهنية الخاصة ، الأمر الذي يتيح لجل المتعلمين التمتع بفرصة الامتياز في إحدى المواد الدراسية ، وبالتالي تجنيب الجميع استشعار النقص والدونية .

5 ـ فصول المستويات les classes uniques : يجري هذا الأسلوب من التعليم داخل المؤسسة التعليمية الواحدة ، وهو يتكون من ثلاث مستويات هي :

مستوى (أ) ، مستوى (ب) ، مستوى (ج) بحيث أن :

المستوى (أ) يضم فئة التلاميذ المتفوقين دراسيا .

المستوى (ب) يضم فئة التلاميذ المتوسطين دراسيا .

المستوى (ج) يضم التلاميذ ضعاف التحصيل .

وخلال السنة الدراسية ، ونتيجة لعمليات التقييم التكويني ، يمكن لكل تلميذ أن ينتقل من مستوى لآخر ، كأن ينتقل تلميذ من المجموعة (أ) إلى المستوى (ب) والعكس صحيح ، ويكون هذا الأسلوب إجراءا مرنا داخل مستويات خلال السنة الدراسية[1] .

ثالثا ـ المتفوقون أكاديميا :

يستخدم مصطلح التفوق أو الموهبة للدلالة على مجموعة من الأفراد الذين يتميزون بذكاء مرتفع أو بتحصيل أكاديمي عال أو بقدرات خاصة بارعة[2] إن استعمال هذه المصطلحات ـ تفوق ، موهبة ـ قاد إلى الخلط بينها وبين عدة مفاهيم أخرى كالعبقرية والإبداع ، ومن أجل التمييز بينها يجب تحديد كل مصطلح على حدة ، ويقترح (القريطي) 1997 النموذج التالي لمستويات الأداء الإنساني الفائق الذي يشمل : الموهبة ، التفوق ، الإبداعية والعبقرية وقد عبر عنها بشكل هرمي :

(1) عبد الكريم غريب ، 2003 ، ص52 .

(2) صالح حسن احمد الداهري ، 2005 ، ص300.

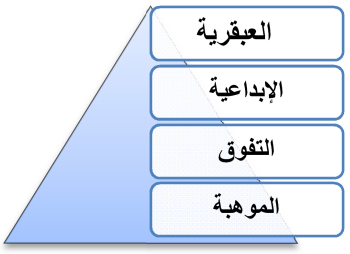

شكل يوضح ترتيب مستويات الأداء الإنساني المتفوق .

إن هذا الهرم يوضح كم أن هذه المفاهيم والمصطلحات متداخلة ، كما توجد علاقة بينها وبين أيها تشكل السبب وأيها تشكل النتيجة ، لهذا فالكثرة تتمثل في الموهبة إلى حد ما وتضيق المساحة كلما ارتفع مستوى الأداء ، ومنه ـ وحسب الترتيب في الشكل ـ يكون التفوق نتيجة للموهبة وسببا للإبداع وهكذا تكون العبقرية أعلى مستويات الأداء الإنساني كمحصلة نهائية لكل المستويات السابقة .

1. التفوق الدراسي :

لغة : جاء في المعجم العربي الأساسي : فاق ، يفوق ، فواقا ، فائق أي : علا ، فاق أقرانه علما وذكاء[1] .

اصطلاحا : يقال من السهل أن نلتزم بالتفوق ومن الصعب أن نأتي بتعريف له يحظى بالإجماع ، ولهذا أثار موضوع المفاهيم في مجال التفوق عددا من الباحثين ، فقد استخدمت عدة مصطلحات ذات معان مختلفة للدلالة على ما يتميز به التلميذ من استعدادات عالية كالنبوغ ، والامتياز ، والعبقرية ، والموهبة ، والتفوق ، وقد شاع استخدام مصطلح العبقرية للدلالة على ملكية الاختراع في القرن الثامن عشر للميلادي ، أما مصطلح الموهبة فقد شاع استخدامه مع أوائل النصف الثاني للقرن العشرين ، وكانت فكرته للتفوق في نشاطات غير أكاديمية ، ثم تطور استخدامه بناءا على نتائج كثيرة من البحوث وأصبح مفهوم الموهبة شاملا لكل من يرتفع مستوى أدائه عن مستوى العاديين في المجالات الأكاديمية والغير أكاديمية ، ومن الملاحظ حدوث تداخل بين مفهومي الموهبة والتفوق ، وقد يرجع ذلك إلى التداخل بينهما من حيث المعنى اللغوي ، فالموهبة والتفوق يشيران في اللغة العربية إلى معنى العلو والاستعداد للبراعة والامتياز ، وقد يقصد بالموهبة الاستعداد الفطري لدى المرء للبراعة .

(1) جماعة من كبار اللغويين العرب 1989 ، ص956 .

أما التفوق فهو من «فوق» وهي ظرف مكان يفيد العلو والارتفاع، والفائق هو الجيد في كل شيء، والتداخل بين المصطلحين يرجع الاستخدامات المتباينة من قبل الباحثين ويركز بعض الباحثين «تايلور وريس» 1970 على مصطلح التفوق، بينما يستخدم «مونكس وريترولي» 1992 مصطلح الموهبة وربما يكون «جانيه» 1993 الوحيد الذي ميز بين المصطلحين وأوضح كيف يتأسس أحدهما على الآخر، فقد ربط بين الموهبة وبين التفوق وأوضح أن تحولات الاستعدادات الفطرية (المواهب) إلى أداء متميز (التفوق) وإظهارها وتحقيقها في مجال نشاط أو أكثر يتم من خلال استثمار الفرد لاستعداداته في التمكن من المعلومات والمهارات الخاصة بهذا المجال في إطار بعض العوامل الوسيطية أو المحفزات التي صنفها «جانيه» إلى ما يلي :

ـ **محفزات شخصية** : كالاستقلالية، تقدير الذات، الدافعية، الاهتمامات .

ـ **محفزات بيئية** : وتشمل من يتفاعل معهم الفرد كالآباء، الأشقاء، المعلمين والمدربين . . . إلخ .

لكن ما هو التفوق الدراسي ؟

عرفه «بانتلي» بأنه الاستعدادات العليا في الدراسة .

أما **«فانتين»** 1986 يرى بأن التفوق «هو تحقيق ما يعتقد أنه الأفضل في حدود ما هو ممكن» .

كما تعرفه اللجنة القومية الأمريكية للتفوق في التعليم كما يلي : «التفوق على مستوى الفرد يعني استغلال الفرد لإمكانياته في الدراسة وتجاوزها على الدوام، وعلى مستوى المدرسة والكلية؛ وضع توقعات وأهداف عالية لجميع المتعلمين، ثم استخدام كافة الطرق الممكنة لمساعدة المتعلمين على تحقيقها؛ وعلى مستوى المجتمع تبني هذه السياسات التي تمكنه من الاستجابة للتحديات...»

أما «هافيجهرست» يرى بأن التفوق هو ثبات التفوق في الأداء في أي مجال من المجالات المقبولة اجتماعيا [1] .

كما توجد الكثير من العوامل التي يمكن أن تؤثر في عملية التفوق الدراسي، بعضها خاص بالفرد نفسه وبعضها بالبيئة التي يعيش فيها وهي :

1 . 1 العوامل الخاصة بالفرد :

أ ـ الذكاء : أكدت الدراسات التي أجراها «بيرت، تيرمان» أن هناك علاقة

(1) عبد الرحمان سيد سليمان و صفاء غازي أحمد، 2001 ص 32 .

ارتباطية موجبة بين الذكاء والتفوق الأكاديمي ، بمعنى ضرورة توفر قدر مناسب من الذكاء لدى الأشخاص المرجو تفوقهم[1] .

ب ـ الدافعية .

ج ـ مستوى الطموح .

د ـ الرضا عن الدراسة .

2 . 1 : العوامل الخاصة بالبيئة :

أ ـ البيئة الأسرية : حيث تعد اتجاهات الوالدين نحو تحصيل الأبناء من العوامل التي تؤثر في عملية تفوق الأبناء ونجاحهم ، حيث كلما كانت اتجاهات الوالدين ايجابية أدى ذلك إلى التفوق .

ب ـ البيئة المدرسية : المؤسسة التعليمية عبارة عن مجتمع مصغر يتفاعل فيه التلاميذ وقد درس عدد من الباحثين أجواء الفصول الدراسية وأمكن تمييز الآتي منها :

ـ الجو المتمركز حول التلميذ .

ـ الجو التسلطي في مقابل الجو الديمقراطي .

ـ الجو المقيد مقابل الجو التسامحي .

ـ الجو السيادي مقابل الجو التكاملي .

إذن فالتفوق حسب هذه التعريفات هو ثمرة جهد مشترك يبدأ في المجتمع نزولا إلى الفرد أو العكس ، فهو صناعة وليست موهبة ، يكشف أو يبحث عنها وسط المتمدرسين يصل بالكل إلى مرحلة التفوق الذي يعد الوسيلة الوحيدة للتصدي إلى التحديات المفروضة .

2 . الموهبة :

من الملاحظ حدوث تداخل بين مفهوم «الموهبة» و«التفوق» فمن حيث المعنى اللغوي في كليهما الإشارة إلى العلم والاستعداد والبراعة والامتياز ، ولعل التداخل في معنى المصطلحين يرجع إلى الاستخدامات المتباينة من قبل الباحثين ، حيث شاع استخدام مصطلح موهبة مع أوائل النصف الثاني من القرن العشرين ، وكانت الفكرة الشائعة أن المقصود به هو التفوق في نشاطات غير أكاديمية ، ثم تطور هذا المفهوم بناءا على نتائج كثيرة من البحوث ، وأصبح مفهوم الموهبة شاملا لكل من يرفع مستوى أدائه على مستوى العاديين في المجالات

(1) عباس محمود عوض ومدحت عبد الحميد ، 1990 ص125 .

الأكاديمية وغير الأكاديمية ، ويضيف « Gagné جانيه 1975 » إيضاحا آخر ، فقد ربط بين التفوق بمعنى الموهبة وبين الموهبة بمعنى التفوق وأوضح أن تحول الاستعدادات الفطرية (المواهب) إلى أداء مميز هو (تفوق) يمكن إظهارها وتحقيقها في مجال نشاط أو أكثر يتم في خلال استثمار الفرد لاستعداداته في التمكن من المعلومات والمهارات الخاصة بهذا المجال في إطار بعض العوامل الوسطية أو المحفزات التي صنفها *جانييه* إلى :

ـ التعلم والتدريب والممارسة . ـ المحفزات الشخصية . ـ المحفزات البديلة .

3 . الإبداع :

يميز « روزنلي ROSENLLY » بين مجموعتين من الأفراد هما :

متفوقون أكاديميا ، ومتفوقون في الإنتاج الإبداعي .

المتفوقون أكاديميا : وهم المتفوقون في التحصيل الأكاديمي ويكشف عنهم عن طريق اختبارات الذكاء (wais . wisc .) والتحصيل الدراسي .

المتفوقون في الإنتاج الإبداعي : ويكشف عنهم من خلال نوعية الإنتاج لديهم.

ويوضح الجدول التالي الفرق بينهما :

متفوقين أكاديميا	متفوقين إبداعيا
1 ـ يتم الكشف عنهم في مرحلة الطفولة ومن خلال التحصيل الأكاديمي واختبارات الذكاء .	1 ـ يتم الكشف عنهم في مرحلة الرشد ومن خلال نوعية إنتاجهم المميز والمبدع .
2 ـ تتمثل طبيعة مساهمتهم في تعلم المعرفة .	2 ـ تتمثل طبيعة مساهماتهم في الاكتشاف .
3 ـ تكون مساهماتهم في مجالات واسعة .	3 ـ تكون مساهماتهم في مجالات محدودة .
4 ـ ليس للإبداع دور ضروري على الأغلب .	4 ـ للإبداع دور ضروري ومهم .
5 ـ مستوى مفهوم الذات الإيجابي لديهم متغير .	5 ـ مستوى مفهوم الذات الإيجابي لديهم مرتفع .
6 ـ الوقت اللازم لتحقيق الإنجاز يمتد من دقائق إلى شهور .	6 ـ الوقت اللازم لتحقيق الإنجاز يمتد من أشهر إلى سنوات .
7 ـ تركز الأبحاث المتميزين أكاديميا على الإنجازات التي يمكن تحقيقها في المستقبل .	7 ـ تركز أبحاث المتميزين إبداعيا على التحصيل في الماضي .

جدول يوضح الفرق بين المتفوقين أكاديميا والمتفوقين إبداعيا .

4 . العبقرية :

يعرف الشخص العبقري بأنه الشخص الذي ينبغ نبوغا عاليا جدا ، ويأتي بأعمال عبقرية في مجال أو أكثر من المجالات التي يقدرها المجتمع حيث تمتاز هذه الأعمال بالجدة والأصالة .

وقد اتفق « تيرمان» مع « هولنجورث» على استخدام مصطلح العبقرية كمرادف للتفوق العقلي ، ورأيا بأن الطفل الذي يصل إلى مستوى معين من الذكاء ، سينمو عبقريا ، وحدد « تيرمان» معامل ذكاء الطفل ب 140 نقطة فأكثر على « مقياس بينه للذكاء» ، بينما يرى « هولنجورث» أن مستوى الذكاء يكون 180 نقطة فأكثر على « مقياس بينه للذكاء» ، كما ذكر بأن هؤلاء الأطفال يحققون أعلى مستوى في الدراسات الجامعية ، كما يدل مصطلح العبقرية على مستوى معين من مستويات الذكاء ، ويرى « ألبورت» بأن العبقري هو شخص يقوم بالإنتاج عبر مدى طويل من الزمن لعدد كبير من الأعمال التي يكون لها تأثير واضح وكبير على الآخرين .

رابعا ـ معايير الكشف عن المتفوقين :

لا شك أن عملية الكشف عن التلاميذ المتفوقين والتعرف عليهم تمثل المدخل الطبيعي لأي مشروع أو برنامج يهدف إلى رعايتهم وإطلاق طاقاتهم ، وهي عملية في غاية الأهمية لأنه يترتب عليه اتخاذ قرارات قد تكون لها آثار خطيرة فيما يخص تصنيف التلاميذ إلى متفوقين وغير متفوقين ، فنجاح أي برنامج لتعليم المتفوقين يتوقف بدرجة كبيرة على دقة عملية الكشف عنهم وسلامة الإجراءات التي اتبعت في اختيارهم إلا أنه يمكن الإشارة إلى أهم المعايير المراعاة في الكشف عنهم :

ـ **معيار القدرات العقلية :** وأهمها هو معامل الذكاء ، حيث يعتبر من أكثر المتغيرات ارتباطا بالتفوق ، ويكون الفرد متفوقا إذا كان حاصل ذكائه أكثر من 148 درجة على « مقياس ستانفورد بينيه» أو أكثر من 145 درجة على مقياس « وكسلر» .

ـ **معيار التحصيل الأكاديمي** : هو من الوسائل المناسبة لتحديد مستوى التفوق وتبدو قيمة مقاييس التحصيل في أنها تحدد موقع المفحوص بالنسبة لأقرانه ويعد الطفل متفوقا كما تؤكد معظم الدراسات إذا حصل على مستوى تحصيلي أكاديمي يضعه ضمن أقل 3 إلى 15٪ من بين المجموعة التي ينتمي إليها .

ـ **معيار السمات الشخصية :** حيث تؤكد الروائز أن المتفوقين يمتازون ببعض السمات كالحماس للتعلم ، والانفتاح والخبرة ومفهوم الذات الإيجابية ، والقدرة على الالتزام بالعمل .

ويمكن إضافة ملاحظات المدرسين والأسرة ، حيث تعد ملاحظات

المعلمين من أهم الوسائل في تمييز التلاميذ الذين لديهم مهارات القيادة أو الفضول المعرفي ، أما الأسرة فتأخذ ملاحظاتها كوسيلة تنبيه .

خامسا ـ صفات وخصائص المعلم والطلبة المتفوقين :

1 . خصائص معلم المتفوقين

إن أغلى ثروة يمتلكها المجتمع هي ثروته البشرية والمعلم هو المسؤول الأول عن هذه الثروة وتنميتها والإفادة منها إذا أحسن إعداده ، لهذا فالمعلم الناجح في تعليم المتفوقين لابد أن يتمتع بعدد من الخصائص الشخصية والكفاءات المهنية الضرورية لهذا تبدي الدول المتقدمة وعلى رأسها (USA) اهتماما كبيرا بمعلم المتفوقين ، فقد أوضحت دراسة مسحية أجراها « كارنس وورتن » أن 21 ولاية من بين الولايات المتحدة الأمريكية تشترط الحصول على شهادة جامعية متخصصة أو إجازة تعليم للعمل في برامج التلاميذ المتفوقين[1] .

أما في مصر فتضع وزارة التربية والتعليم شروطا منها :

ـ أن يرشح للتدريس في فصول المتفوقين مدرسون أصحاب كفاءة خاصة في مواد تخصصهم .

لكن هل يصلح كل معلم لتعليم وتدريس المتفوقين؟

في الواقع يكون المعلم مسؤولا عن نجاح أو فشل جهود الدولة في رعاية وتعليم المتفوقين فإدارة البرامج بكفاءة والقدرة على استخدام الأدوات والوسائل التعليمية تتطلب مجموعة من الصفات والخصائص التي يجب أن يمتاز بها معلم المتفوقين ويلخصها (DARK 1992) في ستة (06) أهداف مرغوبة في المعلم ووضعت تحت كل هدف قائمة من السلوكيات ذات التأثير الفعال يمكن إيجازها في :

ـ تنمية العقل الباحث .
ـ تنمية مفهوم الذات .
ـ تنمية احترام الآخرين .
ـ تنمية الحس بالكفاءة واحترام الذات .
ـ تنمية الحس بمسؤولية التلميذ عن سلوكه .
ـ تنمية الحس بالالتزام والانتماء .

أما « بولاند Bolland 1989 » فحدد مجموعة من الصفات للمعلم الناجح في تعليم المتفوقين أهمها :

(1) أحلام رجب عبد الغفار ، 2003 ، ص28 . .

ـ قدرة عقلية فوق المتوسط ، ومعرفة متعمقة في مجال التخصص .
ـ الشجاعة الأدبية في إظهار عدم معرفة بعض المعلومات .
ـ قوة الشخصية والثقة بالنفس .
ـ حسن التنظيم والإعداد المسبق للدرس .
ـ تقبل الأفكار الجديدة والأسئلة الغريبة من التلاميذ[1] .

أما « هانسون Hansen 1988 » فحدد المهارات التعليمية التي يتصف بها معلم المتفوقين فيما يلي :

ـ استخدام الوسائل التعليمية بمهارة .
ـ التأكيد على استخدام مهارات التفكير العليا .
ـ تزويد التلاميذ بخبرات متنوعة .
ـ استخدام أسلوب المناقشة بكثرة .
ـ إعطاء أهمية أقل للدرجات .
ـ استخدام أقل لأسلوب المحاضرة .

ولكن كيف ينظر التلاميذ إلى الخصائص التي يجب أن يمتاز بها المعلم؟

يمثل الطلبة أحد المصادر الرئيسية للحصول على المعلومات حول أداء المعلم وفعاليته في التدريس ، وقد اعتمدت دراسات كثيرة على هذه المنهجية في تحديد السمات المرغوبة للمعلمين الناجحين في تدريس المتفوقين .

ومن بين هذه الدراسات نجد دراسة « جونسون Jhonson 1976 » حيث وجد فيها أن الطلبة بمختلف أعمارهم ومستويات تحصيلهم وحالتهم الاقتصادية يتفقون إلى درجة كبيرة على سمات المعلم التي تسهل تعلمهم وأهمها :

ـ يعطي اهتماما لحاجاتهم ويستمع إليهم .
ـ يفهم مشكلاتهم ويتواصل معهم .
ـ يشاركهم نجاحهم ويجعلهم يشعرون بأهميته .
ـ يعاملهم بصراحة واحترام دون تمييز .
ـ لطيف بطبعه ولبه روح الدعابة وموثوق به .

أما سمات وخصائص المعلم التي تجعل تعلم الطلبة صعبا حسبهم هي :

ـ يصرخ في وجوههم ويربكهم .
ـ يطلب من الطلبة أداء مهمات غير منطقية ولامعقولة .

(1) أحلام رجب عبد الغفار ، 2003 ، ص30 .

ـ يستخدم الكبح والعقاب البدني .
ـ يحط من مستوياتهم .
ـ يمارس التظاهر والنفاق[1] .

2 ـ **خصائص الطلبة المتفوقين** : الموهوبين من الفئات غير العادية ، حيث أن لهم سمات تعليمية وشخصية وسلوكية وانفعالية وعقلية واجتماعية تميزهم عن غيرهم من الفئات الأخرى ، وأهم خصائص الطلبة المتفوقين كما حددها « ماسبيه وجانييه » 1983 كما يلي :

ـ السرعة في التعلم ، فهم أسرع من العاديين في عملية التعلم والقدرة على الاستدلال والاستنتاج والتعميم للوصول إلى الهدف التعليمي بسهولة .
ـ السهولة في التعلم ، وقدرتهم على الاستفادة من خبراتهم السابقة وربطها بما يتعلموه حاليا .
ـ التنوع في الاهتمامات ، فهم لديهم حب استطلاع لمعرفة كل شيء في مختلف المجالات .
ـ التعمق في مجال معين .
أما الخصائص النفسية والانفعالية[2] .

أ. الخصائص النفسية :

ـ الاكتفاء بالذات والثقة بها.
ـ تحمل مسؤولية أعمالهم وقراراتهم.
ـ يميلون إلى العمل باستقلالية ولديهم دافعية مرتفعة نحو العمل أو أداء المهام بمثابرة وإصرار .
ـ أكثر تكيفا وأقل قلقا وإحباطا.
ـ الحماس وحب الخبرات الجديدة وحب الاستطلاع.

ب. الخصائص الانفعالية :

ـ الاتزان الانفعالي وأقل عرضة للإصابة بالاضطرابات الانفعالية .
ـ النضج المبكر في جميع الجوانب الشخصية .
ـ النضج الأخلاقي .

سادسا ـ كفايات معلم المتفوقين :

يمكن وصف معلم المتفوقين بأنه المبدع الذي يتحدى عقول المتعلمين

(1) ماجدة السيد عبيد ، 2000 ، ص231 .
(2) خليل عبد الرحمان المعايطة ، عبد السلام البوايليز ، 2000 ، ص61 .

ويقيم علاقات ناجحة معهم ويثري دافعيتهم ، ويحول درسه من مجرد دراسات واستجابات إلى موقف إنساني فيه الدفء والثقة والعواطف ، لكي يستمر المتعلمون في حالة من النشاط العقلي ، ويحثهم على الإنجاز وحب الاستطلاع ، ويشعرهم بالتفوق في المناقشة[1] .

هذا وقد أشارت الدراسات التي تمت في مجال الكفايات التي ينبغي أن تتوافر في المعلم الذي يعمل مع المتفوقين إلى أهمها ما يلي :

- أن يكون المعلم متفوقا في مهنته ، لأن تفاعل التلاميذ المتفوقين مع معلم متفوق يحقق لهم فرص أفضل للنمو .
- لابد أن يكون لديه قدر مناسب من النضج الانفعالي حتى يستطيع أن يتقبل الطالب المتفوق عقليا .
- أن يتفهم الحجات الخاصة للطالب الموهوب ، ولكن عليه أن يعرف أيضا أن هناك حاجات انفعالية واجتماعية موازية لما عند أقرانه في الصف ، فهو يريد أن يكون مقبولا من أقرانه .
- مساعدة التلميذ المتفوق على أن يطور مهاراته الدراسية وأن يشجعه على تنمية مستوى عال من التفكير[2] .
- لابد أن يعرف المعلم معنى الموهبة وأن يتدرب على أساليب الكشف عن الموهوبين في الصف ، وأن يتقن مختلف تقنيات الملاحظة المنظمة .
- لابد أن يجعل المعلم مناخ التعلم ابتكاريا ومرنا ومتسامحا لأن ذلك يسمح بالنمو العقلي للطالب والتعبير عن نفسه بحرية .
- أن يتميز بالواقعية والصبر حتى يستطيع أن يواجه الحقائق .
- على المعلم أن يتفهم مواطن القوة والضعف في مختلف النماذج التنظيمية لتربية الموهوبين وأن يختبر الطرق التعليمية ومختلف التقنيات ليصل إلى أفضل النماذج والطرق التي تحقق له النجاح .
- أن يكونوا غير تقليديين وألا يفرضوا الأساليب التقليدية أثناء ممارستهم لنشاطاتهم المهنية .
- ألا يعتمد المدرس بشكل رئيسي على كتاب مدرسي مقرر واحد وإنما يجب استخدام أكثر من كتاب .

(1) عبد المنعم عبد القادر الميلادي ، 2003 ، ص28 .
(2) ماجدة السيد عبيد ، 2000 ، ص229 .

ـ أن يشجع الطلبة على مناقشة وجهات النظر المتعارضة وأن ينصتوا باهتمام إلا الآراء المخالفة .

ـ أن يعمل المدرس على مكافأة وتعزيز روح المبادرة والأصالة .

ـ أن يختار المعلم مقررات أكاديمية أكبر وأعلى من نظيره المعلم العادي .

خلاصة

إذن وكخلاصة فإذا كان التركيز على رعاية المتفوقين يكتسي أهمية قصوى في أي نظام تعليمي فانه من الاحري كذلك وفي ظل الإصلاحات التربوية المبنية على بيداغوجيا الكفايات التركيز والاهتمام وإعداد المعلم الذي يقوم برعايتهم والإشراف عليهم لأنه يمثل الحلقة الأقوى في تكوينهم .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

/1 إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخ ، دار الأندلس . طبعة 2 ـ 1981 .

/2 ابن منظور : لسان العرب ، دار الفكر ، بيروت ـ المجلد 15 .

/3 أحلام رجب عبد الغفار : الرعاية التربوية للمتفوقين ، دار آسيا ، دار الفجر للنشر والتوزيع 2003 .

/4 جماعة من كبار اللغويين العرب : المعجم العربي الأساسي ، توزيع لاروس ، 1989

/5 خليل عبد الرحمان المعايطة ، محمد عبد السلام البواليز : الموهبة والتفوق ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2000 ، عمان .

/6 خليل ميخائيل معوض : القدرات العقلية ، دار المعارف ، 1979 ، مصر .

/7 سعيد حسني العزة : تربية الموهوبين والمتفوقين ، 2002 ، الاردن .

/8 صالح حسن أحمد الداهري : علم النفس الإرشادي ، نظرياته وأساليبه . طبعة أولى 2005، مصر .

/9 عباس محمود عوض ، مدحت عبد الحميد : الصحة النفسية والتفوق الدراسي ، دار النهضة العربية ، 1990 ، بيروت .

/10 عبد الرحمان سيد سليمان وصفاء غازي أحمد : المتفوقون عقليا ، « خصائصهم اكتشافهم تربيتهم ومشكلاتهم» ، مكتبة زهراء الشرق ، 2001 ، مصر .

/11 عبد الكريم غريب : إستراتيجية الكفايات وأساليب تقويم جودة تكونها ، منشورات عالم التربية ، طبعة ثالثة ، 2003 ، المغرب .

/12 عبد الكريم غريب : بيداغوجيا الكفايات ، منشورات عالم التربية طبعة 5 ـ 2004 ، المغرب .

/13 عبد المنعم عبد القادر الميلادي : المتفوقون ، الموهوبون ، المبدعون ، آفاق الرعاية والتأهيل ـ مؤسسة النشر شباب الجامعة ، 2003 ، مصر .

/14 لحسن بوتكلات : مفهوم الكفايات وبناؤها عند فيليب فيرنو ، مجلة علوم التربية ، دورية مغربية نصف سنوية ، المجلد الثالث ، العدد25 أكتوبر 2003 ، المغرب .

/15 ماجدة السيد عبيد : تربية الموهوبين والمتفوقين ، دار الصفاء ، الطبعة الأولى 2000 ، عمان .

/16 محمد التونجي وراجي الأسمر : المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ـ دار الكتب العلمية ، طبعة 1 ، 1993 .

17 ـ Le petit Robert . 2001 . France .